ظاهرة الهجرة: جذورها وتحولاتها: الشمال الغربي التونسي نموذجا

The phenomenon of migration: its roots and transformations : in the Northwest of Tunisia as a model.

Le Phénomène migratoire : ses racines et ses transformations : Le Nord-Ouest Tunisien comme modèle.

عُمري راضية[1]*

تاريخ الإرسال: 2022/08/28 **تاريخ القبول:** 2022/10/03 **تاريخ النشر:** 2023/12/15

ملخص:

يسعى هذا المقال الى البحث في العلاقات السكانية لإقليم الشمال الغربي التونسي مع بقية المجالات الجغرافية الأخرى سواء كانت وطنية أو خارجية. وتتبع هذه الظاهرة تاريخيا خاصة وأنها شهدت دينامية عبر الزمن اذ تحول هذا الإقليم من مستقطب للمهاجرين من مناطق مختلفة من البلاد التونسية وكذلك من خارجها – في الفترات التي سبقت الاستعمار والى حدود ثلاثينيات القرن العشرين تقريبا – الى منفر للسكان منذ ذلك التاريخ الى الآن. كما تحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على العوامل الكامنة وراء جذب الشمال الغربي للمهاجرين في مرحلة أولى وهي أسباب طبيعية. أما في مرحلة ثانية فيجدر التوقف عند أسباب تحوله الى إقليم منفر للسكان وتتمحور هذه الأخيرة أساسا في المنوال التنموي المتبع من قبل الحكومات المتعاقبة. من أجل ذلك فقد اعتمدنا المقاربة المجالية الزمنية، والتاريخية فضلا عن المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، إقليم الشمال الغربي، التحولات

Abstract :

This article seeks to search of the population relations of the northwestern Tunisian region with the rest of the other geographical areas, whether national or international. This phenomenon is followed historically, especially as it witnessed a dynamic over time as this region turned from a polarizing of immigrants from different regions of the country as well as from outside it to a repulsive one to the population. This article also attempts to shed light on the factors behind the northwest's attraction of immigrants in a first stage. In a second stage, we will consider the reasons for its transformation into a region that is repulsive to the population.

Key words: migration, Northwest Province, transformation

*مؤلف مراسل

[1] عُمري راضية, radhiaomri@hotmail.com, TUNISIE

Résumé

Cet article vise à ‘étudier les relations démographiques de la région du nord-ouest tunisien avec des autres régions géographiques, qu'elles soient nationales ou étrangères. Ce phénomène est historiquement traçable, d'autant plus qu'il a connu une dynamique au fil du temps. Cette région est passée d'un pôle d'attraction pour les immigrants des différentes régions du pays tunisien ainsi que de l'extérieur - dans les périodes précédentes le colonialisme et jusqu'aux années trente du XXe siècle environ - à aliéner la population depuis cette date jusqu'à aujourd'hui. Cet article tente également à mettre l’accent sur les facteurs à l'origine de l'attrait du Nord-Ouest pour les immigrants au premier stade, qui sont des causes naturelles. Dans un deuxième temps, il convient de s'attarder sur les raisons de sa transformation en une région aliénante de la population, et cette dernière s'articule principalement autour du processus de développement suivi par les gouvernements successifs. Pour cela, nous avons adopté l'approche spatiale temporelle et historique ainsi que l'approche analytique descriptive.

Mots-clés : Migration, La région Nord-Ouest, Transformations

مقدمة:

تُعد الهجرة اما تجسيدا للتكامل الاقتصادي بين المجالات الجغرافية أو هي ترجمة لاختلال التوازن الاقتصادي فيما بينها. وذلك نتيجة لعدة عوامل من أبرزها الخيارات الاقتصادية للدول مثل ما هو الحال بالبلاد التونسية التي أفضت سياساتها التنموية المتعاقبة الى اختلال التوازن بين أقاليم داخلية مهمشة اقتصاديا واجتماعيا، وأخرى ساحلية حظيت باهتمام الدولة من حيث الاستثمارات التي وجهت اليها. وتعتبر ظاهرة الهجرة بإقليم الشمال الغربي التونسي حديثة نسبيا اذ يعود تاريخها الى بداية ثلاثينيات القرن العشرين متى عرف الإقليم نقلة نوعية في تاريخه من حيث تحوله من منطقة مستقبلة لأعداد هامة من المهاجرين سواء من خارج التراب التونسي ابان القرنين التاسع عشر والعشرين (من المغرب العربي) أو الهجرات الموسمية- التي كان يقوم بها سكان الوسط والجنوب في الصيف من أجل المشاركة في جمع محاصيل الحبوب واستغلال بقايا الحصاد كمراعي لقطعانهم – الى إقليم طارد لسكانه خاصة بعد الاستقلال.

1. الإطار المنهجي للدراسة

1.1. إشكالية الدراسة

ان العلاقات التي عقدها إقليم الشمال الغربي مع بقية المجالات الجغرافية سواء أكانت وطنية أو خارجية ليست وليدة الفترة الراهنة فحسب وانما هي تواصل عبر الزمن. كما تُعرف هذه العلاقات بتنوعها اذ يمكن التمييز بين الاقتصادية والاجتماعية والسكانية، المادية واللامادية...وفي هذا الصدد نركز اهتمامنا على الهجرة وقد عرفت هذه الظاهرة عدة تحولات. من هذا المنطلق فان إشكالية هذه الدراسة تتمحور حول هجرة السكان بإقليم الشمال الغربي التونسي وتحولاتها. ويمكن تفريع هذه الإشكالية الرئيسية الى مجموعة من الأسئلة منها:

- ماهي الجذور التاريخية للهجرة بإقليم الشمال الغربي التونسي؟
- ماهي التحولات التي عرفتها ظاهرة الهجرة؟
- ماهي العوامل المتحكمة في الهجرة وفي ديناميتها؟

هل ارتبطت الهجرة بمحددات إقليمية ومحلية نابعة من الشمال الغربي أم بعوامل جذب وطنية (تابعة لأقاليم أخرى)؟

1. 2. أهمية الدراسة وأهدافها

تكمن أهمية هذه الدراسة في البحث عن الجذور التاريخية لظاهرة الهجرة بالشمال الغربي التونسي وتحولاتها. وعلى هذا الأساس فهي تحاول تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على السيرورة التاريخية لظاهرة الهجرة.
- تحديد اتجاهات وأنساق الأدفاق الهجرية.
- التوقف عند التحولات التي عرفتها ظاهرة الهجرة..
- البحث في الأسباب الكامنة خلف هذه العلاقات وديناميتها.

1. 3.مقاربة الدراسة والمنهجية المتبعة

✓ **المقاربة:** بما أن هذه الدراسة تبحث في تاريخ ظاهرة الهجرة بإقليم الشمال الغربي التونسي فان اعتماد المقاربة التاريخية ضرورة ملحة للتعرف على ذلك.

✓ **المنهجية:** بما أن ما يتم في مكان ليس بمعزل عن ما يحدث في أماكن أخرى فان اعتماد منهجية تراكب المقاييس يمكننا من وضع الظاهرة في اطارها العام والخاص. كما مكنتنا الاحصائيات المتحصل عليها من المراجع والمصادر من الاستناد الى المنهج الوصفي التحليلي.

1. 4.تقديم مجال الدراسة

قسم الجغرافيون على غرار الأستاذ (ستهم، شخصية الأقاليم الجغرافية التونسية، 1999) البلاد التونسية الى تونس الساحلية الشرقية وتونس الداخلية الغربية مستندا في ذلك الى المؤشرات الاقتصادية. وتقسم تونس الداخلية الى ثلاثة أقاليم: إقليم الجنوب الغربي وإقليم الوسط الغربي وإقليم الشمال الغربي مجال دراستنا والذي يضم أربع ولايات وهي باجة وجندوبة وسليانة والكاف، (خريطة رقم 1).

خريطة رقم1: مجال الدراسة ضمن التراب الوطني

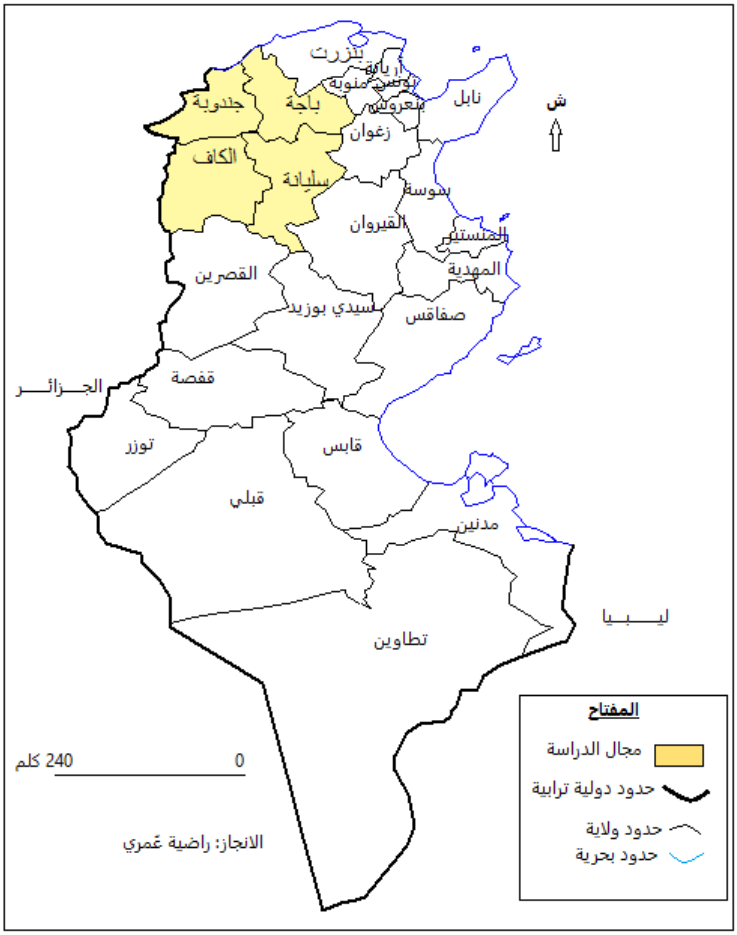

بلغ عدد سكان إقليم الشمال الغربي 1107.8 ساكن سنة 2014 وهو ما يمثل 10.66% من مجموع سكان البلاد التونسية. يحده من الغرب القطر الجزائري ومن الجنوب ولايتي القصرين وسيدي بوزيد ومن الشرق كل من ولاية القيروان وزغوان ومنوبة وبنزرت. كما يمتلك هذا الإقليم واجهة بحرية على طول 51 كلم (طبرقة) من الشمال. بالإضافة الى شريط

حدودي غربي مع القطر الجزائري قدر ب 262 كلم، يتيح هذا الموقع الجغرافي للإقليم عدة امتيازات تسمح له نظريا بتحقيق التنمية ومن ثمة القدرة على شد سكانه. وهو ما يتنافى مع واقع هذا الإقليم، الأمر الذي دفعنا للبحث في العوامل الكامنة واراء ذلك.

2. نتائج الدراسة

2. 1.الهجرة الحديثة بالبلاد التونسية وتحولاتها.

لم يكن المجتمع التونسي يعرف حركية مجاليه هامة باستثناء التنقلات التي كانت تقوم بها قبائل الوسط والجنوب باتجاه تونس التلّية في الصيف ورحلة الشتاء نحو الساحل لجني الزيتون ورحلة الخريف باتجاه بلاد نفزاوة للمشاركة في جمع التمور. وقد كانت هذه الهجرات مؤقتة ولا تأخذ صبغة الديمومة الا في حالة استمرار فترة الجفاف بالوسط والجنوب و" لكن الاستقرار النهائي كان لا يهم الا نسبة محدودة من الوافدين في سنوات الجفاف يستقرون في الأرياف أساسا لا في المدن" (ستهم، شخصية الأقاليم الجغرافية التونسية، 1999) في مقابل هذا الاستقرار السكاني بالبلاد التونسية فقد كانت البلدان المغاربية تعرف تحرّكية هجرية هامة باتجاه البلاد التونسية. وقد شهد عدد هؤلاء الوافدين ارتفاعا ملحوظا ابان القرنين التاسع عشر والعشرين اذ تضافرت عدة عوامل: طبيعية واجتماعية وسياسية لتدفع بأفواج هامة من المهاجرين المغاربة باتجاه تونس. فماهي إذا خصائص هذه الأعداد المهاجرة الى البلاد التونسية؟ وماهي مناطق استقرارهم؟ وأي مكانة للشمال الغربي في استقطاب الأفواج المهاجرة؟

1.1.2. البلاد التونسية منطقة استقطاب للمهاجرين من المغرب العربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

شكلت البلاد التونسية منطقة استقطاب للمهاجرين من المغرب العربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين غير أن درجات الاستقطاب تختلف من بلد الى آخر. وتُعتبر كل من الجزائر وليبيا خاصة بعد 1911 – تاريخ دخول الاستعمار الايطالي– أهم البلدان المصدرة للمهاجرين باتجاه البلاد التونسية.

أ. الأهمية العددية للمهاجرين الجزائريين مقارنة ببقية المهاجرين

بلغ عدد الوافدين على البلاد التونسية 13457 فردا في أواخر القرن التاسع عشر موزعين بين جزائريين بـ 955. فردا و12502 فردا من البلاد الليبية (الماجري، 2010). وقد مثل الاستعمار واستحواذه على الاراضي الفلاحية أهم عامل لهجرة الجزائريين في القرن التاسع عشر." فالى حدود 1895 فَقَدَ الجزائريون أكثر من خمسة ملايين هكتار" (الماجري، 2010)، في المقابل مثلت الاضطرابات السياسية التي عاشها القطر الليبي (الايالة الطرابلسية آن ذاك)، يضاف الى ذلك سنوات الجفاف الطويلة والمتكررة الدافع الرئيسي لهجرة الليبيين والمغاربة الى تونس. أما في القرن العشرين فقد

أصبحت سياسة الاحتلال الايطالي للقطر الليبي سنة 1911 السبب الرئيسي لهجرة الليبيين، اذ سعت الى تهجير السكان الأصليين حيث اتبع الاحتلال " سياسة "تهجير ونفي الآلاف من المواطنين الليبين الى خارج البلاد [...]، أي أنه بعد مضي ثلاثة وعشرين يوما فقط من بداية الغزو الإيطالي الى ليبيا بدأت عملية التهجير الجماعي خارج الحدود الليبية" (أبو القاسم، 1992) وقد تدعمت هذه السياسة القمعية بعد الحرب العالمية الثانية " اذ بدأت منذ سنة 1922 تسلب الأراضي والعقارات من الأهالي بالقوة." (أبو القاسم، 1992) ويعتبر اكتشاف الفسفاط بالبلاد التونسية من بين أهم العوامل التي شجعت على توافد المهاجرين من بلدان المغرب العربي الى تونس مع بداية القرن العشرين خاصة بعد الحرب العالمية الأولى. وما فتئ عدد المهاجرين من هذه البلدان يرتفع الى ان بلغ أوجه سنة 1921، حيث قدر بـ 11579 فردا (رسم بياني رقم1). ورغم التذبذب الذي يسجله مختلف الوافدين فان عدد الوافدين من القطر الجزائري يبقى الأرفع مقارنة بالمهاجرين من بقية الأقطار الأخرى اذ بلغ 9125 فردا حسب تعداد سنة 1936 أي أنه يمثل 71.31%.

نلاحظ الأهمية العددية للوافدين من القطر الجزائري مقارنة ببقية أقطار المغرب العربي بنسبة تجاوزت الـ 50% من مجموع الوافدين على البلاد التونسية في مختلف الاحصائيات الأربعة. تليها في ذلك نسبة المهاجرين من القطر الليبي، اذ بلغت أعلى نسبة 19.5% وذلك حسب إحصاء سنة 1936 وأدناها حسب إحصاء سنة 1921، اذ قدرت بـ 12 % في المقابل يعتبر مهاجري المغرب الأقصى أقلية مقارنة بالجزائريين والليبيين اذ لم تتجاوز النسبة في أقصى حالاتها الـ 10% من المجموع العام للمهاجرين في مختلف الاحصائيات. ولئن لعب قرب المسافة دورا في تفسير هذه الأهمية العددية التي ميزت الجزائريين عن بقية المهاجرين من الأقطار المغاربية فان الجذور التاريخية للهجرة الجزائرية الى تونس قد لعبت دورا فعالا في ذلك اذ يعود تاريخ هذه الظاهرة الى " القرن الثاني للهجري[...] كما أن رحلة الجزائريين نحو القيروان شكلت جسورا من العلاقات العلمية والثقافية" (بوطيبي، 2020) كل هذا يجعلنا نتساءل عن التوزع الجغرافي لهؤلاء الوافدين داخل البلاد التونسية؟

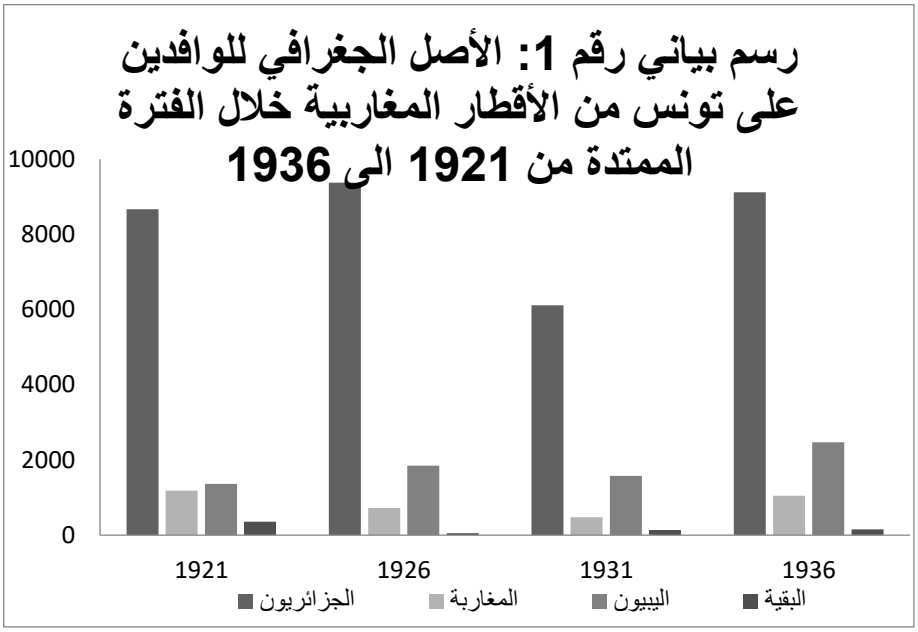

المصدر: (بوطيبي، 2020)

فماهي المناطق التي مثلت منطقة استقطاب لهذه الأعداد المهاجرة دون سواها؟ وماهي محددات تركز هؤلاء الوافدين داخل البلاد التونسية؟ وهل تركز الوافدون على البلاد التونسية في نفس المناطق أم أن لكل جالية منطقة خاصة بها؟ وماهي مكانة الشمال الغربي في ذلك؟

ب. **التوزع الجغرافي للوافدين على البلاد التونسية**

مثلت المنطقة الشمالية التلية الرطبة الواقعة شمال السلسلة الظهرية بشكل عام منطقة استقطاب للجاليات القادمة من المغرب العربي في القرن التاسع عشر. غير أن هذه الجاليات قد اختلفت في تركزها داخل المنطقة الشمالية. فلئن استأثر الشريط الحدودي الغربي بالنسبة الأهم من المهاجرين الجزائريين، من ذلك أن سهول الكاف احتلت المرتبة الأولى باستقطابها لـ "8833 مهاجر من مجموع 40734 مهاجر جزائري وافد على البلاد التونسية حسب إحصاء 1925" (بوطيبي، 2020)، وهو ما يناهز 22% من المجموع الوافدين الجزائريين. في حين احتلت تونس العاصمة وضواحيها المرتبة الأولى من حيث استقطاب المهاجرين الليبيين اذ قدرت النسبة بما يقارب 37% من مجموع الليبيين والمقدر عددهم بـ "4080 مهاجر سنة 1921" (الماجري، 2010). كما مثل الوطن القبلي وجهة هؤلاء المهاجرين. أما بالنسبة الى المهاجرين القادمين من المغرب الأقصى فقد تمركزوا في "الشمال الشرقي بماطر وبنزرت والوطن القبلي وهي تقريبا المناطق التي استقر بها الأندلسيون منذ بداية القرن السابع عشر والطرابلسية خلال القرن التاسع عشر." (الماجري، 2010). وبذلك فان مناطق استقرار المهاجرين الليبيين تتماهى تقريبا مع المناطق التي استقر بها المهاجرون من المغرب الأقصى. وبالنظر الى عوامل هجرة

الوافدين الى البلاد التونسية التي ذكرناها آنفا يصبح من البديهي أن تمثل تونس التلية منطقة استقطاب لهذه الأعداد المهاجرة لاحتوائها على الأراضي الخصبة. ومن الأهمية الاشارة الى أن تخصص كل منطقة من تونس التلية في استقطاب مهاجرين من بلد معين يبقى نسبيا. فرغم الأهمية العددية للمهاجرين الجزائريين بالشمال الغربي الا أن ذلك لا ينفي تركز المهاجرين من المغرب الأقصى ومن ليبيا بهذا الاقليم. بالاضافة الى ذلك فإن الجزائريين قد توطنوا بمناطق أخرى من البلاد التونسية، من ذلك تركزهم ببنزرت وزغوان وباجة... (بوطيبي، 2020)، لكن هل تواصل تركز المهاجرين بتونس التلية خلال القرن العشرين أم شهدت خارطة التوزع الجغرافي للمهاجرين تحولات؟ وإن كانت عرفت تحولات فماهي محددات ذلك؟ وهل أن هذه العوامل مرتبطة بمنطقة الاستقطاب أم خارجة عنها؟

مثل كل من اكتشاف الفسفاط بالبلاد التونسية سنة 1885 وما تبعه من تركيز لـ"شركة الفسفاط والسكك الحديدية بقفصة" في ماي 1897 (معط الله، 2009-2010). للبلاد من ناحية واستحواذ المستعمر على الأراضي الزراعية بالشمال من ناحية ثانية عاملين أساسيين لإدخال تحويرات على خارطة التوزع الجغرافي للمهاجرين الى البلاد التونسية. فبرزت مناطق استقطاب جديدة حيث مثلت هذه الجاليات النواة الأولى لتكون أول مدينة بالجنوب الغربي اذ" لم يشهد الجنوب التونسي خلال القرن التاسع عشر استقرارا للمهاجرين هناك نتيجة الظروف المناخية الصعبة وندرة المياه وعدم توفر فرص الشغل لذلك لم يستقر هناك الا أعدادا بسيطة فضلت البقاء في منطقتي جرجيس وجربة للعمل في خدمة الزوايا وأعمال الحراسة بينما الأغلبية واصلت سيرها نحو الشمال لتستقر على ضفاف مجردة حيث الأراضي الزراعية الخصبة" (أبو القاسم، 1992). فقد بلغت نسبة اللّيبيين منذ 1936 في قفصة 11.60% من جملة الوافدين و7.73% من جملة الوافدين من المغرب الأقصى وحوالي 6% بالنسبة الى الجزائريين بالمراقبة المدنية بتوزر من مجموع الوافدين الجزائريين" (الماجري، 2010). وما يؤكد أهمية العمل في المناجم في جذب المهاجرين ما بلغته "نسبة العمال الليبين الذين يشتغلون في المناجم بمنطقة الجنوب 50% بينما الجزائريون 10% و40% من التونسيين." (أبو القاسم، 1992). قد انعكس هذا التنوع في الأصول الجغرافية للوافدين الى المناطق المنجمية على المجال " حيث عرفت منطقة المتلوي مثلا بقفصة تكون أحياء في شكل "مخيمات وأكواخ" (معط الله، 2009-2010) وهي أحياء تعكس أسماءها – نسبيا- الأصل الجغرافي لساكنيها وتتمثل في" حي المراكة: يتكون من قسمين، الأول خاص بالمراكة (نسبة الى المغرب) والثاني خاص بالجزائريين، والثالث خاص بالطرابلسّية: وقد أطلقت عليه هذه التسمية لكثرة الوافدين اللّيبين عليه في مرحلة أولى" (معط الله، 2009-2010).كل هذا يجعلنا نتساءل عن نصيب الشمال الغربي من أعداد الوافدين على البلاد التونسية خلال القرن العشرين؟

ج. الشمال الغربي: منطقة استقطاب هامة

تبينا من خلال معاينة الجدول رقم1 مكانة الشمال الغربي كمنطقة استقطاب مهمة ضمن مناطق الاستقطاب اذ استحوذ على ما يفوق ربع المهاجرين طيلة الاحصائيات الأربعة (جدول رقم1). ورغم التراجع الذي سجل في احصاء

جدول رقم1: نصيب الشمال الغربي من الوافدين الى البلاد التونسية خلال الفترة الممتدة من 1921-1936

الفترة الزمنية	1921		1926		1931		1936	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
مجموع المهاجرين المستقرين بالشمال الغربي	17504	25.8	18500	27.83	19954	30.26	17776	27.53
المجموع العام للوافدين على البلاد التونسية	67855	-	66475	-	65934	-	64549	-

المصدر: (الماجري، 2010)

1936 إلا أن ذلك يندرج في إطار تراجع عام للوافدين على البلاد التونسية. وتبقى أعلى نسبة استقطاب سجلها الإقليم تلك الواردة في إحصاء سنة 1931 اذ بلغت 30.26%. فهل مثل اقليم الشمال الغربي منطقة استقطاب لكل المهاجرين على اختلاف أصولهم الجغرافية أم أنه اختص في استقطاب مهاجرين من بلد دون آخر؟

نلاحظ انطلاقا من جدول رقم 2 أن أعلى نسبة يستقطبها الشمال الغربي هي القادمة من القطر الجزائري اذ تجاوزت النصف سنة 1931 (51.72 %) من مجموع المهاجرين الجزائريين الى تونس. بينما لم تتجاوز نسبة الليبيين الذين استقروا بالشمال الغربي الـ5 % من النسبة الجمليّة لليبيين وحوالي 26% بالنسبة للمهاجرين القادمين من المغرب الأقصى. ولم تتراجع نسبة الذين استقروا من الجزائريين بالشمال الغربي الى أقل من 40% خلال الإحصائيات الأربعة (الجدول رقم2).

منطقة انطلاق المهاجرين	1921		1926		1931		1936	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الجزائر	14491	44.46	15555	45.44	17904	51.72	15763	42.65
ليبيا	2180	10.82	1727	8.49	1310	4.63	1077	4.53

المغرب	833	20.42	1218	33.92	740	25.95	936	23.03
مجموع المهاجرين المستقرين بالشمال الغربي	17504	-	18500	-	19954	-	17776	-

جدول رقم2: نصيب الشمال الغربي من الوافدين الى البلاد التونسية خلال الفترة الممتدة من 1921-1936 حسب مناطق الانطلاق.

المصدر: (الماجري، 2010)

ويحتل المهاجرون من المغرب الأقصى المرتبة الثانية بعد الجزائريين من حيث استقرارهم بالشمال الغربي. وتعزى الأهمية الى الموقع الجغرافي الحدودي لإقليم الشمال الغربي الذي لعب دورا هاما في خلق علاقات بين القطرين سبقت الاستعمار وتعود تقريبا الى عهد البايات الحسينيين من ذلك" انتداب الايالة الحسينية للجنود من قبائل جزائرية تعيش متاخمة للحدود التونسية وذلك لحراسة المدن وقصور البايات." (الفازعي، 2012)، وهو ما يفسر تفرد الإقليم بأعلى نسبة من المهاجرين الجزائريين. وفي هذا الإطار حظيت المشايخ التابعة بالنظر الى المراقبة المدنية بالكاف – تمثل ولاية الكاف حاليا تقريبا- بـ 6310 فردا وهو ما يمثل 35.49% من المهاجرين الجزائريين المستقرين بالشمال الغربي سنة 1931. ومرد هذا الاستقرار الكبير للمهاجرين الجزائريين بولاية الكاف- باعتبار التقسيم الإداري الحديث – اكتشاف الخامات المنجمية والدليل على ذلك ان اهم النسب المسجلة لتركز الجزائريين كانت بالمشايخ- جمع مشيخة- التي تحتوي على مناجم. نستنتج ومن خلال ما سبق أن اقليم الشمال الغربي يمثل من أهم المناطق من حيث استقبال المهاجرين القادمين من المغرب العربي وذلك لعدة أسباب من ضمنها الخصائص الطبيعية التي تميزه كوفرة الموارد المائية وتوفر المراعي الممتدة بفضل ارتفاع كميات التساقطات التي يسجلها هذا الاقليم. كما لعبت هذه الأخيرة دورا في جذب قبائل الوسط والجنوب اليه في إطار رحلات الانتجاع الصيفي التي كانوا يقومون بها والتي تفضي أحيانا الى استقرار البعض منهم في هذا الاقليم مما أسهم في ادخال تحولات على مستوى التركيبة الاجتماعية به.

2.1.2.الشمال الغربي مجال استقطاب للهجرات الموسمية

شكل الشمال الغربي على غرار باقي أقاليم تونس الشمالية وجهة للرحلات الصيفية التي كانت تقوم بها قبائل الوسط لجمع محاصيل الحبوب واستغلال "الحصيدة" كمرعى للأغنام والماعز والإبل طيلة فترة الصيف. حيث مثل الشمال الغربي منطقة استقطاب لمختلف أنماط تحركات المجتمع الرعوي من "هطاية"[1]، "عشابة"[2]،"صيافة"[3] و"عزابة"[4] القادمة خاصة من الوسط الغربي. وتخضع كثافة هذه التحركات الى المعطى الطبيعي " فكلما كانت فترة الجفاف طويلة الا وشهدت منطقة

السباسب فراغا من قطيع الاغنام ومن جزء هام من سكانها تصل أحيانا الى حد مشاركة كبار السن في هذه الرحلة." (Attia, 1977) في المقابل تشهد المناطق المستقطبة لهذه الرحلات سواء أكان الشمال الغربي أو غيره من الأقاليم الشمالية زيادة عددية لسكانها وان كانت موسمية. كما تنتشر أنماط مختلفة من علاقات الانتاج تجسدها كل من حركات " الهطاية" و"الصيافة". والملاحظة الجديرة بالذكر "أن هناك شبه تخصص داخل إقليم الشمال الغربي من حيث الأصول الجغرافية للرحلات التي يستقطبها. فلئن مثلت كل من جندوبة وباجة وسليانة مجال ممارسة بالنسبة للحركات الانتجاعية القادمة أساسا من القيروان وسيدي بوزيد فان ولاية الكاف تشكل مجال استقطاب للرحلات القادمة من ولاية القصرين (عُمري، 2016).عرفت هذه الرحلات الانتجاعية، والتي شكلت استراتيجية اتبعها أصحابها لضمان البقاء من خلال مواجهة الظروف الطبيعية القاسية والمتمثلة في الجفاف تحولات جذرية بفعل عدة أطراف خدمة لمصالحها. ففيما تمثلت هذه التحولات؟ وماهي الأطراف الفاعلة فيها؟

1.2. 3.عوامل شبه اندثار الهجرات الموسمية

بالرغم من التراجع الكبير للهجرات الموسمية الى حد ذهب البعض الى الاعتقاد بأنها اندثرت الا أنها مازالت الى الآن ولكن بأعداد محدودة. ولقد لعبت عدة عوامل لتسهم في تراجع هذه الظاهرة ومنها: الاستعمار الفرنسي الذي لعب دورا رئيسيا والاجراءات التي اتخذتها الحكومة التونسية ابان بناء الدولة الحديثة.

أ. الاستعمار والهيمنة على الأراضي الخصبة للشمال الغربي

مثل الشمال الغربي، مثل بقية الأقاليم الشمالية للبلاد، منطقة استعمار زراعي اذ استحوذ المستعمر على أخصب الأراضي واضطر الفلاحون الى استغلال السفوح الجبلية التي أصبحت خلال الفترة الفاصلة بين 1935-1940 تعاني من "ثقل بشري"(Kassab, 1980) أو الى العمل لدى المعمرين وكبار الفلاحين التونسيين كـ"خماسة"،"أو بالشركة" .... وما دعم عملية تثبيت القبائل انتشار ظاهرة مكننة العمل الفلاحي بشمال البلاد. وبالتالي تخلت هذه المناطق عن قوى العمل المحلية. وكان من نتائج ذلك تراجع لأنماط من علاقات الانتاج أبرزها "الخماسة". بالاضافة الى التخلي عن قوة العمل القادمة من الوسط والجنوب التي كانت تسهم في جمع المحاصيل من خلال نمط "الهطاية" و"الصيّافة". كما لم تعد هذه المناطق تمثل مجالات خصبة "للتعشّيب" باعتبار أن أصحابها تخلوا نسبيا عن دورة البور التي كانوا يمارسونها قبل ذلك ومن ثمة تراجع كبير لنمط اخر من أنماط التنقلات وهي "العشابة".

كل هذه العوامل لم تشكل نقطة تحول في تاريخ المجتمعات الرعوية باخضاعها الى الاستقرار فحسب وانما أفرزت كذلك نوعا من الاختلال في علاقة التكامل الاقتصادي بين الجهات والتي كانت تؤمنها هذه التنقلات باعتبار ان هذه الأخيرة هي كذلك شكل من اشكال المبادلات الاقتصادية بين الأقاليم من ناحية. ومثلت من ناحية أخرى إيذانا بدخول الشمال الغربي مرحلة جديدة اذ تحول من منطقة جاذبة الى منطقة طاردة لأنّه لم يعد قادرا على شد سكانه فأخذ عددهم في التراجع وذلك تحت تأثير عدة عوامل.

ب. الاستعمار وتثبيت القبائل

بدأ قطيع الماشية يتراجع بمنطقة الوسط الغربي منذ أن هيمنت السلطات الاستعمارية على أخصب الأراضي اذ قدرت ب60000 هكتار (ستهم، شخصية الأقاليم الجغرافية التونسية، 1999) بسيدي بوزيد، القصرين وسبيطلة وشرعت في غراستها أشجارا مثمرة. يضاف الى ذلك استحواذها على "زملة الحلفاء" التي كانت تمثل أهم مرعى للماشية. كما مثلت عملية مراقبة قبائل الوسط الغربي والسيطرة عليها مهمة صعبة بالنسبة للاستعمار، باعتبار الطابع الترحالي المميز لها. لذلك فقد عمد المستعمر الى تثبيتها من خلال "خلق مناطق لإقرار البدو الرحل على اراضي صالحة للزراعة وتشجيعهم على غراسة الزيتون وأشجار مثمرة أخرى والاستقرار النهائي والتحول الى النشاط الفلاحي" (ستهم، شخصية الأقاليم الجغرافية التونسية، 1999). فبرزت تبعا لذلك أولى بوادر اندثار المجتمع البدوي القائم على الترحال وبالتالي اندثار علاقاته الاقتصادية والاجتماعية مع مجالات أخرى- الشمال الغربي خاصة- والتي كانت قائمة بالأساس على ما تملكه أرياف اقليم الشمال الغربي من امكانيات طبيعة هامة جعلت منه قبلة لهؤلاء البدو.

ج. الاستقلال واعادة بناء المجتمع والتراب الوطني

ان بناء الدولة الحديثة وما يعنيه ذلك من احكام السيطرة على المجال والتحكم فيه والتمكن من مراقبته ومن نشر قيم التحديث "قد تم عبر تفكيك الترابات المحلية"(Belhedi, 1999) من خلال إضعاف التقسيم القبلي الذي على أساسه انتظم المجال لقرون خلت وتحويل الولاء للدولة عوضا عن القبيلة. من أجل ذلك استبدلت التقسيم القبلي للمجال بتقسيم اداري لا يمثل فيه التراب القبلي حدا للوحدة الادارية المزمع احداثها، وتعويض الرموز القديمة المتنفذة في المجال مثل شيخ القبيلة برموز جديدة مثل العمدة وهو ما يمكنها من بسط نفوذها وتمرير جل مخططاتها من جهة. ومراقبة السكان في مختلف تحركاتهم لضمان ولائهم من جهة ثانية. نستنتج من هنا أن "السلطة الصاعدة والمتمثلة في الدولة استمدت سلطتها من تملكها للترابات المحلية" (Belhedi, 1999) ولأن ذلك لا يمكن أن يتم الا في مجتمع مستقر غير مرتحل فقد شجعت الدولة على تعاطي الفلاحة السقوية فحفرت الابار واسترجعت الاراضي التي كانت تحت سيطرة الاستعمار من ذلك

" استرجاع حوالي 50000هك سنة 1965 في بلاد القيروان" (السباعي، 2011) وبيعها للخواص وحل الأحباس. فتوسعت بذلك زراعة الحبوب والأشجار المثمرة. بالاضافة الى ذلك قامت الدولة بخلق مراعي محمية بنشر الغراسات العلفية من قبيل " الهندي الاملس والسنط والسرمق وكذلك زراعة الفصة في المناطق الممطرة بما فيه الكفاية أو في الأراضي المسقية اعتمادا على الابار العميقة التي حفرتها " (ستهم، شخصية الأقاليم الجغرافية التونسية، 1999)، كان من نتائج ذلك استقرار السكان بشكل شبه نهائي ودخول اقليم الوسط الغربي مرحلة جديدة انتفت فيها تقريبا علاقاته التقليدية التي كانت تجمعه ببقية الاقاليم سواء الشمالية منها أو الجنوبية والتي كانت قائمة بالأساس على ما توفره من مقومات طبيعية تجذب هؤلاء الرحل.

.2.2. الشمال الغربي: اقليم منفر لسكانه

نتبين انطلاقا مما سبق أن العوامل التي أفضت الى شبه اندثار حركات الانتجاع ارتبطت منذ البداية بمناطق الانطلاق والاستقبال على حد السواء وبالدولة بماهي فاعل اجتماعي له القدرة على الفعل في المجال. وفي هذا الصدد سجلنا – انطلاقا تقريبا من فترة ما بين الحربين– بوادر أزمة أرياف الشمال الغربي التي آلت الى انقلاب وضعيته من اقليم مستقبل لهذه الهجرات الموسمية الى اقليم طارد لسكانه باتجاه المدن لا سيما منها تونس العاصمة. وهو ما يجعلنا نتساءل عن ملامح هذه الظاهرة؟ وعن أسبابها؟

1.2.2. الشمال الغربي: أهم خزان للمهاجرين

مثل إقليم الشمال الغربي وجهة التنقلات الموسمية القادمة من وسط البلاد وجنوبها لتميزه بمقومات طبيعية ملائمة لتعاطي الفلاحة البعلية وتوفير مواطن انتجاع للقادمين من مناطق أخرى (السباسب، الجنوب...). وهو ما يبرهن على أن المقومات الطبيعية التي ميزت الشمال الغربي كانت أساس علاقاته مع بقية الأقاليم. لكن مع 1930 بدأ هذا الإقليم يعرف الهجرة والتي بلغت أوجها بعد 1956 "وهكذا فان سكان الشمال الغربي المستقرين الذين كانوا يتميزون بحركية محدودة في الماضي تحولوا فجأة الى مهاجرين واتخذت هجرتهم صبغة الهجرة النهائية" (ستهم، الانسان والمكان.، 1986) وقد تواصلت هذه الهجرة في العشريات الموالية للاستقلال الى اليوم. ومن ثمة تحول اقليم الشمال الغربي الى أول اقليم على الصعيد الوطني حسب تعداد المعهد الوطني للإحصاء لسنة 1966 في تصدير أفواج المهاجرين ب 109594 مهاجرا.

أ. الشمال الغربي: المزود الرئيسي للعاصمة بالمهاجرين الى منتصف السبعينيات

شهد المجال الهجري للبلاد التونسية تحولات عميقة انطلاقا من 1956. فبعد أن كان وسط البلاد وجنوبها يشكلان مناطق انطلاق المهاجرين خلال الفترة الفاصلة بين 1936 -1956" اذ خسرت هذه المناطق بين 2‰ الى أكثر من 10‰ من سكانها سنويا" (ستهم، الانسان والمكان.، 1986) لصالح الاقاليم الشمالية لاسيما منها تونس العاصمة. أصبح اقليم الشمال الغربي خزانا للمهاجرين باتجاه العاصمة. اذ بلغ عدد المهاجرين الى تونس العاصمة " 89646 مهاجرا سنة 1966 من مجموع 109594 مهاجرا" (المعهد الوطني للاحصاء، 1966) من اقليم الشمال الغربي. وهو ما يمثل 82% من النسبة الجملية لمهاجري الإقليم (خريطة رقم2). بينما لم تستقطب بقية أقاليم البلاد

خريطة رقم 2: وجهة الأدفاق المهاجرة من الشمال الغربي حسب إحصاء 1966

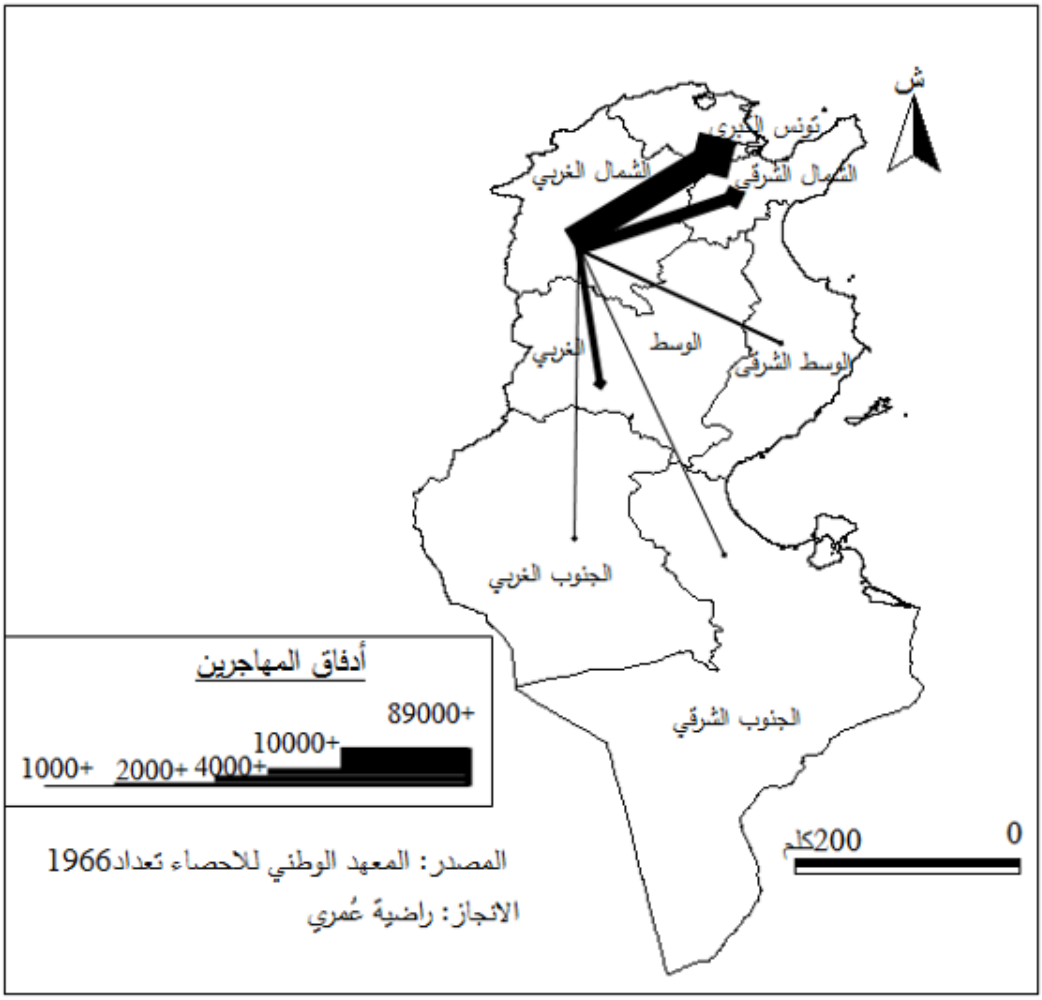

المصدر: (المعهد الوطني للاحصاء، 1966)

إلا نسب محدودة من المهاجرين اذ قدر عددهم باتجاه الشمال الشرقي 10540 مهاجرا وهو ما يمثل 10% من النسبة الجملية لمهاجري الشمال الغربي. يليه في ذلك اقليم الوسط الغربي بنسبة 4% في المقابل لم تستقطب بقية الاقاليم سوى 4% من مهاجري الشمال الغربي موزعة بين اقليم الوسط الشرقي ب2% و1% لكل من اقليم الجنوب الشرقي والجنوب الغربي. وفي الواقع فان هذا الاستقطاب الكلي لمهاجري الشمال الغربي من طرف العاصمة يندرج في إطار توسع مجال استقطاب العاصمة حيث شمل كامل شمال البلاد. ولقد سجل اقليم الشمال الغربي خلال هذه الفترة حاصلا هجريا سلبيا قدر ب- 86429. عرف المجال الهجري الوطني بداية من الستينيات تحولات وشهدت معه الأدفاق الهجرية الصادرة من الشمال الغربي تغيرات في وجهتها وفي أنساقها معلنة بذلك عن توسع مجال استقطاب المهاجرين من الشمال الغربي ببروز

مناطق جديدة الى جانب العاصمة. دينامية مرتبطة "بالخيارات الاقتصادية التنموية للدولة التي فظلت المركزية، والأولية الوطنية، الانفتاح الاقتصادي، وقد كان لذلك تجسيداته المجالية كالسوحلة وتفاقم الفوارق الجهوية. وهو ما أفضى الى خلق ثنائية جديدة من التباينات تمثلت في غرب–شرق أي داخل –ساحل بعد أن كانت هذه الثنائية شمال–جنوب مرتبطة بمعطيات جغرافية تاريخية(Belhedi, 2021)

ب. بروز مناطق استقطاب جديدة خلال منتصف السبعينيات

سجل الشمال الغربي حسب تعداد 1975 تراجعا واضحا في العدد الجملي لمهاجريه حيث بلغ 47450 مهاجرا وهو ما يعني نسبة تراجع -5.67%. كما تراجعت جاذبية اقليم تونس الى 69% من مجموع مهاجري الشمال الغربي. وبالتوازي مع ذلك برزت مناطق استقطاب جديدة لهؤلاء المهاجرين تمثلت بالأساس في إقليم الوسط الشرقي الذي استقطب 4770 مهاجرا وهو ما يمثل 10% من النسبة الجملية للمهاجرين من الشمال الغربي (خريطة رقم3). ويفسر ذلك بـ"التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي حظي بها الساحل انطلاقا من الستينيات(Lamine , 2001)" التي مكنته من شد سكانه. بالإضافة الى جذب مهاجرين من أقاليم أخرى من ذلك الشمال الغربي الذي قدرت نسبة مهاجريه من مجموع المهاجرين الى اقليم الساحل 14.5% حسب إحصاء 1975 بعد أن كانت لا تتجاوز 10% من مجموع المهاجرين الى اقليم الساحل سنة 1966. وما يلفت الانتباه هو ارتفاع نصيب اقليم الوسط الغربي من مهاجري الشمال الغربي اذ تضاعف بين احصاء1966 و1975 حيث مر من 4% الى ما يناهز8% في الوقت ذاته سجلت التيارات الهجرية الوافدة على اقليم الشمال الغربي من الوسط الغربي تراجعا اذ بلغت نسبة الوافدين من هذا الأخير 13.29% من النسبة الجمليّة للوافدين على الشمال الغربي بعد أن كانت 24%حسب احصاء 1966، مع 1984 بلغ الحاصل الهجري -36640. تزامنا مع ذلك نسجل ارتفاعا لنصيب اقليم تونس الكبرى من مهاجري الشمال الغربي اذ قارب الـ 74% مع تراجع طفيف لنسبة الشمال الشرقي والوسط الشرقي من الأعداد المهاجرة من اقليم الشمال الغربي. نستخلص اذا من خلال ما سبق أن الشريط الساحلي انطلاقا من بنزرت الى صفاقس مثل منطقة جذب للمهاجرين من الشمال الغربي مع تصدر اقليم تونس للمرتبة الاولى بنسبة لم تتراجع دون 69% خلال التعدادات الثلاثة 1966 و1975 و 1984. تزامنا مع ذلك تنامت مكانة اقليميّ الشمال

خريطة رقم3: وجهة الأدفاق المهاجرة من الشمال الغربي حسب احصاء1975

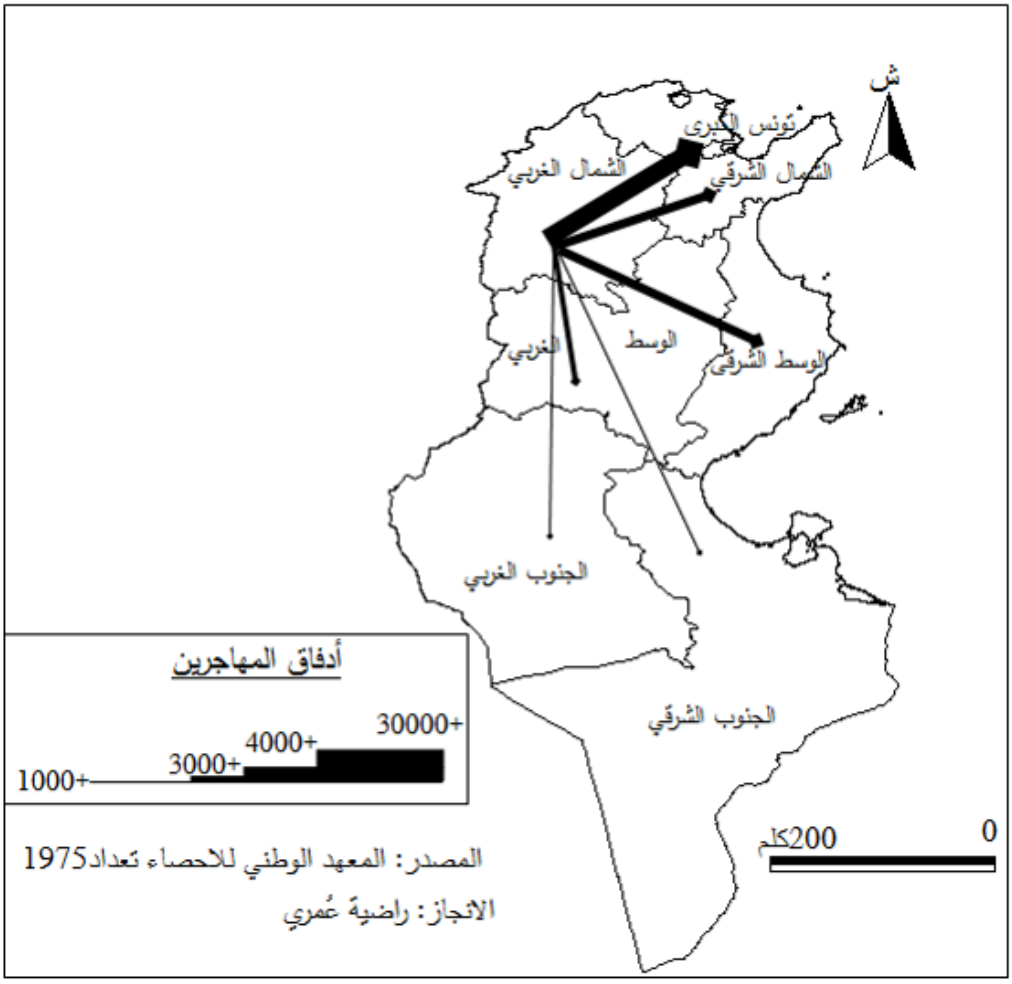

المصدر: (المعهد الوطني للاحصاء، 1975)

الشرقي وخاصة الوسط الشرقي الى أن بلغتا خلال احصاء 1984 حوالي 19%. في المقابل نسجل محدودية الأقاليم الداخلية في جذب مهاجري الشمال الغربي اذ سجلت أعلى نسبة خلال احصاء 1975 بالنسبة للوسط الغربي قدرت بحوالي 8%. لكنها سرعان ما تراجعت خلال الاحصاء الموالي سنة 1984. كل هذه التحولات التي شهدتها أدفاق الهجرة من الشمال الغربي تندرج في إطار التحولات العامة للحقل الهجري بالبلاد التونسية الذي يتجه نحو تأكيد دور اقليم تونس بصفة خاصة والشريط الساحلي بصفة عامة في جذب الأدفاق الهجرية من كامل التراب الوطني.

ج. منتصف التسعينيّات وبداية الالفية الثانية: تأكد دور الواجهة الساحلية في استقطاب مهاجري الشمال الغربي

تأكد مع إحصاء سنة 1994 تواصل ارتفاع عدد المهاجرين من الشمال الغربي اذ قدر بـ 62615 بعد أن كان 48340 حسب إحصاء سنة 1984 مسجلا بذلك نسبة زيادة سنوية بلغت ب 2.95%. توجهت نسبة71% من هذه الأعداد المهاجرة نحو إقليم تونس الكبرى. لذلك فقد حافظ هذا الأخير على المرتبة الأولى في استقطاب الأعداد المهاجرة من

الشمال الغربي رغم التدعم المتواصل للأقاليم الساحلية في جذب نسبة هامة من مهاجري الشمال الغربي قدرت حسب احصاء 2004 ب 29% بعد أن كانت 23.5% من النسبة الجملية لمهاجري الشمال الغربي حسب إحصاء سنة 1994. هذا الاستقطاب لمهاجري الشمال الغربي من قبل الأقاليم الساحلية لا سيما الوسط الشرقي ينضوي في إطار توسع مجال استقطاب هذا الأخير للمهاجرين من كامل التراب الوطني.

ان العلاقات التي ينسجها إقليم الشمال الغربي مع بقية المجالات الجغرافية تتم بشكل متباين بين الأقاليم الداخلية ونظيرتها الساحلية. إذ تعتبر هذه الأخيرة الأكثر استقطابا للمغادرين من إقليم الشمال الغربي حيث قدرت نسبة استقطابها ب 75% سنة 1994. في المقابل لا تستقطب الأقاليم الداخلية إلا 25%. تفسر هذه العلاقات غير المتكافئة بأهمية البنية التحتية الاقتصادية للأقاليم الساحلية مقارنة بنظيرتها الداخلية خاصة وأن الدافع الرئيسي للهجرة هو البحث عن عمل. وقد أكدت احصائيات 2014 على تواصل "النزيف البشري "الذي يعانيه إقليم الشمال الغربي حيث قدر الحاصل الهجري ب –35000 مهاجر. فماهي عوامل ذلك؟

2. 2.2 .عوامل تحول إقليم الشمال الغربي من مستقطب الى منفر للسكان

يُعد إقليم الشمال الغربي التونسي إقليم المفارقات. فهو يتأرجح بين الإمكانيات الكامنة فيه وحالات الانسداد «Blocage » الاقتصادي والاجتماعي التي يعيشها. ولا تخص هذه المفارقة إقليم الشمال الغربي فحسب بل ترتبط بمنظومة اقتصادية تنموية لكامل البلاد، انبنت ومنذ عقود على تحويل الموارد الطبيعية التي تزخر بها المناطق الداخلية الى الساحل. وهو ما جعل من "الأقاليم المالكة للموارد الطبيعية فقيرة ومنفرة لسكانها من جهة ومصدرة للثروات باتجاه المجالات الساحلية من جهة ثانية "(Belhedi, 2021)

أ. محدودية الاستفادة من الكامنات الطبيعية

يحظى إقليم الشمال الغربي التونسي بموقع استراتيجي (أنظر تقديم مجال الدراسة). وهو ما "يسمح له أن يكون وصلة تبادل مجالية interface مع القطر الجزائري (العلوي، 2020) الا أن ذلك لم يثمن الى حد الآن مما جعل من هذه المناطق هامشية تقتات على تجارة التهريب.

يعد هذا الإقليم ثاني منطقة منجمية بالبلاد التونسية بعد الحوض المنجمي بقفصة سواء من حيث الأهمية العددية للمناجم والتي قدرت بـ 23 منجما متركزة خاصة بولاية الكاف أو من حيث الإنتاج. هذا فضلا عن تنوع الموارد به مثل الفسفاط والزنك والرصاص والحديد... الا أن هذا الإقليم لم يستفد من هذه الموارد الا بنسبة تكاد تكون منعدمة حيث تم

تحويل هذه الخامات خارجه سواء في عهد الاستعمار أو في الفترات اللاحقة ابان بناء الدولة الحديثة حيث حافظت الحكومات المتعاقبة على نفس السياسة الاستعمارية والمتمثلة في استخراج المواد الأولية وتحويلها الى خارج الاقليم. وهكذا تم افراغ هذا الأخير من مدخراته لصالح مناطق أخرى.

فضلا عن كل ما سبق فان إقليم الشمال الغربي يتميز بامكانيات فلاحية هامة، حيث بلغت الأراضي الصالحة للاستغلال بـ 1622209 هكتار (Ministère de l'équipement de l'habitat et du l'aménagement du territoire, 2010) وهو ما يمثل قرابة 96% من المساحة الجملية للإقليم. كما بلغت الأراضي المحروثة 1129157 هكتار (Ministère de l'équipement de l'habitat et du l'aménagement du territoire, 2010)ويعتبر هذا الإقليم الخزان المائي للبلاد اذ بلغت "نسبة الموارد المائية به 58%" (Belhedi, Les espaces de la marge: blocage et paradoxe du développement en Tunisie., 2021) من النسبة الجملية للمياه بالبلاد. وقد استفاد من التهيئة المائية الكبرى التي أقدمت عليها الدولة. وهو ما مكن من تعبئة هامة لمياهه، إلا ان المساحة السقوية لهذا الاقليم لم تتجاوز الـ 20% من جملة المساحة السقوية للبلاد. وفي الواقع فان هذه النسبة المحدودة تجد مبرراتها في خصائص المنظومة المائية التونسية والتي انبنت على خيارات سياسية تنموية أعطت الأولية والأفضلية للشريط الساحلي. حيث تأسست على ثلاثة أبعاد وهي **استخراج** المياه وتعبئتها ثم **تحويلها** و**استغلالها** في المناطق الساحلية في أغراض متنوعة (فلاحية وصناعية وسياحية واستعمالات منزلية).

ان ضعف هذه النسبة تؤكد على أن" هناك إمكانات هائلة لزيادة الإنتاج وحفز الاستثمار الزراعي وجعله محور تنمية إقليمية منصفة" (العلوي، 2020) يسهم ولو في حلحلة الانسداد الاقتصادي والاجتماعي الذي يعيشه الإقليم. ما يمكن التأكيد عليه وانطلاقا مما سبق أن إقليم الشمال الغربي التونسي يعاني من سياسة "تحويل واستثمار ثرواته خارجه" (العلوي، 2020) وهو ما أسهم بشكل كبير في حالة الانسداد الاقتصادي والاجتماعي التي يعيشها.

ب. ملامح الانسداد الاقتصادي لإقليم الشمال الغربي التونسي" Blocage Economique "

تتجلى ملامح الانسداد الاقتصادي بإقليم الشمال الغربي التونسي على صعيد القطاعات الاقتصادية الثلاثة:

- ✓ **على مستوى القطاع الفلاحي:**

– يعاني هذا القطاع من شدة الارتباط بالمعطيات المناخية. وهو ما يعكس ضعف مستويات التكثيف الزراعي بالاقليم. الأمر الذي يتأكد مع "بروز ظاهرة التخلي التدريجي لفلاحي ولاية الكاف عن زراعة القمح اللين والصلب والتوجه نحو التخصص في زراعة الشعير نتيجة التحولات المناخية المتمثلة في تراجع كميات الأمطار المسجلة (عُمري، 2016).

– محدودية الدينامية التي تشهدها أنظمة الإنتاج الفلاحي الأخرى بالاقليم حيث تتواصل هيمنة الأغنام على نظام تربية الماشية والزياتين على نظام الغراسات. وبرغم ذلك لم يعرف الإقليم نشأة أي حوض للانتاج كباقي الأقاليم الأخرى على غرار مجردة السفلى أين نشأ حوض لبني.

– يعاني الإقليم من ظاهرة التفتت القطعي حيث قدرت نسبة المستغلات دون الـ 5 هكتارات بـ 48.6% من النسبة الجملية للمستغلات بالاقليم في حين قدرت النسبة الوطنية بـ 10% (Ministère de l'équipement de l'habitat et du l'aménagement du territoire, 2010) الى جانب استفحال ظاهرة التشتت القطعي (عُمري، 2016).

✓ **هامشية القطاع الصناعي:**

تكمن هامشية القطاع الصناعي بإقليم الشمال الغربي في محدودية المؤسسات الصناعية والشغل الصناعي. حيث بلغ عدد المؤسسات المتوطنة بالاقليم سنة 2014 حوالي 959 مؤسسة مقابل 1424 مؤسسة بتونس الكبرى و2738 بكامل الشمال الشرقي. يضاف الى ذلك هيمنة المؤسسات الغذائية الفلاحية على أصناف المؤسسات حيث قدرت نسبتها 44.42% من النسبة الجملية للمؤسسات الصناعية المتوطنة بالاقليم. وقد وفرت هذه الأخيرة 30161 موطن شغل مقابل 134336 موطن شغل توفره المؤسسات الصناعية بإقليم تونس الكبرى و256974 موطن شغل بالمؤسسات الصناعية بالشمال الشرقي. (عُمري، 2016)كما تختص الأقاليم الداخلية بصفة عامة ومن ضمنها إقليم الشمال الغربي بضعف نسب الاستثمار العمومي والخاص. (أنظر جدول رقم3). الى جانب ذلك فقد عرف النشاط المنجمي أزمة تمثلت في نفاذ مخزونه ولم يتبقى من المناجم الا أربعة منهم. الى جانب عدم استغلال خامات من الفسفاط الى الآن.

جدول رقم3: ضعف المؤشرات الاقتصادية بالأقاليم الداخلية

	تونس الكبرى	الشمال الشرقي	الشمال الغربي	الوسط الشرقي	الوسط الغربي	الجنوب الشرقي	الجنوب الغربي	الوطني
نسبة الاستثمارات العمومية بين 1987 الى 2006	23.5	17.4	10	24.1	8.8	11	5.3	100
نسبة الاستثمارات العمومية بين 1987 الى 2006	76.9	72.7	40	67.6	45.8	62.2	40	62.6
الاستثمارات/الساكن بين 2011 و2015	1.08	1.24	0.78	1.08	0.70	0.88	1.1	1

المصدر: (Belhedi, Les espaces de la marge: blocage et paradoxe du développement en Tunisie., 2021)

✓ **قطاع ثالث قاعدي وعمومي في أغلبه**

اتخذت الدولة في إطار سعيها الى الحد من الفوارق بين الأقاليم الداخلية والساحلية وتحسين الشبكة الحضرية مجموعة من الاجراءات. شكلت الترقية الادارية أبرز أوجهها. وكان لهذه الأخيرة انعكاسات على القطاع الخدمي العمومي، اذ تلازمت الترقية الادارية مع نشر التجهيزات العمومية وتوزيعها وتركيزها تفاضليا حسب مراتب المدن ووظائفه. غير أن القطاع الخدمي ظل في مجمله قاعدي وعمومي ولم تشهد مدن الشمال الغربي نموا للخدمات الخاصة كبقية مدن الشريط الساحلي. لذلك فانه لم يسهم في تنشيط الدورة الاقتصادية بالمستوى المطلوب.

ج. ملامح الانسداد الاجتماعي للإقليم

تتعدد ملامح الانسداد الاجتماعي بالأقاليم الداخلية التونسية بصفة عامة وباقليم الشمال الغربي بصفة خاصة. وفي هذا الصدد نسجل ارتفاعا في نسب الأمية حيث تتصدر ولايات هذا الإقليم المراتب الوطنية الأولى الى جانب ولايات إقليم الوسط الغربي. فلئن تجاوزت نسب الأمية في مختلف الولايات نسبة 26% فانها بلغت على المستوى الوطني 18.8%. (المعهد الوطني للإحصاء،2014). ارتفاع نسب البطالة حيث بلغت 17.5% سنة 2018 في المقابل قدرت النسبة الوطنية بـ 15.4%.(Belhedi, 2021) . كما يحتل إقليم الشمال الغربي المرتبة الثانية وطنيا في نسب الفقر بعد إقليم الوسط الغربي (30.8 %) حيث وصلت النسبة الى 28.4% في حين أن النسبة الوطنية قدرت بـ 15.4% (Belhedi, 2021)

كل هذه النسب تؤكد المفارقات التي يعيشها إقليم الشمال الغربي بين كامنات متنوعة وانسداد اقتصادي واجتماعي تعاني منه مختلف الأقاليم الداخلية.

خلاصة:

لقد سعت هذه الدراسة الى محاولة تتبع السيرورة التاريخية للتحركية السكانية لسكان الشمال الغربي التونسي. وقد توصلت الى أن هذه الظاهرة تعد حديثة باعتبارها بدأت في ثلاثينيات القرن العشرين. بالإضافة الى العمق التاريخي للعلاقات السكانية لبلدان الشمال الافريقي، وفي هذا السياق أكدت هذه الورقة البحثية على قدرة البلاد التونسية على جذب التيارات الهجرية من مختلف البلدان آنفة الذكر. ومن الأهمية بمكان الإشارة الى مكانة إقليم الشمال الغربي في جذب المهاجرين من خارج البلاد ابان القرنين الـ 19 و20 أو من داخل البلاد وتحديدا من وسط وجنوب البلاد التونسية باعتبار استقباله لرحلات الانتجاع. ومن الاستنتاجات التي أمكن التوصل اليها هي أن العلاقات ربطت إقليم الشمال الغربي ببقية المجالات الجغرافية الأخرى سواء كانت وطنية أو خارجية كانت تتم عبر أريافه لا مدنه مستندا في ذلك الى المقومات الطبيعية التي تميزه. لكن مع ثلاثينيات القرن العشرين بدأت تبرز ملامح تحول داخل هذا الاقليم أفضت الى نقلة جذرية في تاريخه. اذ لم يعد قادرا لا على استقطاب المهاجرين فحسب وانما أصبح أيضا غير قادرا على شد سكانه. ومع مرور الزمن وغياب الحلول الناجعة لبوادر الازمة التي عرفتها أرياف الشمال الغربي في ثلاثينيات القرن العشرين تحولت الى انسداد اقتصادي واجتماعي جعل منه خزانا للمهاجرين كان من نتائجها شبه افراغ الاقليم من سكانه من ناحية واحداث ضغط ديمغرافي واقتصادي واجتماعي في مناطق الاستقبال تعمق مع مرور الزمن ليصبح ضغطا سياسيا. وقد كان لكل ذلك تجسيداته المجالية من أهم تجلياتها توسع المدن على حساب الأراضي الزراعية وأخرى اجتماعية كارتفاع نسب الفقر في المدن الكبرى خاصة تونس العاصمة...

قائمة المراجع باللغة العربية

- ابراهيم أحمد أبو القاسم. (1992). المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية1911-1957. تونس: نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
- الصديق الفازعي. (2012). مدينة الكاف في التل العالي التونس: تحضرها ومكانتها الاقليمية. تونس: مركز النشر الجامعي.
- المعهد الوطني للاحصاء. (1966). التعداد العام التونسي للسكن والسكنى 1966.
- المعهد الوطني للاحصاء. (1975). التعداد العام التونسي للسكن والسكنى1975. تونس.
- حافظ ستهم. (1986). الانسان والمكان. (المجلد 86/392). العمران والتنمية في تونس: المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر.
- حافظ ستهم. (1999). شخصية الأقاليم الجغرافية التونسية. تونس: مركز النشر الجامعي.
- راضية عُمري. (2016). الأرياف والمدن وتشكل المجال بالتل العالي التونسي: أرياف ومدن وسط وجنوب ولاية الكاف نموذجا.(أطروحة دكتوراه غير منشورة). كلية الآداب والعلوم الانسانية، صفاقس.
- سفيان العلوي. (أكتوبر, 2020). الري كرهان تنمية ترابية في سهل جندوبة. تاريخ الاسترداد 20، 3, 2022، من مرصد السيادة الغذائية والبيئة: www.osae-marsad.org
- شكري السباعي. (2011). التحركات السكانية والتحولات الاجتماعية الترابيةفي جنوب القيرون(أطروحة دكتوراه غير منشورة). كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس.
- عبد الكريم الماجري. (2010). هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواونة الى تونس(1831 -1937). تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.
- محمد بوطيبي. (سبتمبر, 2020). الهجرة الجزائرية الى البلاد التونسية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. مجلة الراصد العلمي، المجلد7(العدد2)، الصفحات 5-20.

- مياسة معط الله. (2009-2010). المتلوي مدينة منجمية(ماجستير بحث غير منشورة). كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس.

- قائمة المراجع باللغة الفرنسية

- Attia, H. (1977). Les Hautes Steppes Tunisienne: de la sociétés pastorales à la sociétés paysanne.(Thèse de Doctorat d'Etat). Paris, Sorbonne, France.
- Belhedi, A. (1992). Société, espace et développement en Tunis. Tunis: Public Fac sciences humaines et Soc. Tunis.
- Belhedi, A. (1999). Problématiques de l'espace local. (A. Toumi, Éd.) Géographie et développement(double 15 et 16), p. 69/82.
- Belhedi, A. (2021, mars 7,8 et 9). Les espaces de la marge: blocage et paradoxe du développement en Tunisie. (Editions Ali Hanafi,). FLAH.Université de Manouba, Manouba. Consulté le 05 24, 2022, sur http://amorbelhedi.unblog.fr: http://amorbelhedi.unblog.fr
- Kassab, A. (1980). Etudes rurales en Tunisie, . Faculté de lettres et sciences Humaines de Tunis: publication de l'université de Tunis.
- Lamine , R. (2001). Villes et citadins du Sahel Central. Thèse de Doctorat d'Etat en géographie. Faculté de science Humaines et Sociales de Tunis, Sousse: Faculté de science Humaines et Sociales de Tunis.
- Ministère de l'équipement de l'habitat et du l'aménagement du territoire, D. G. (2010). *Schéma Directeur d'aménagement de la région économique du Nord-Ouest.* URAM. Tunisie.

تفسير بعض المصطلحات المحلية الواردة في الدراسة

[1] تعني الهطاية التنقلات الجماعية للعائلات الريفية مصحوبين بمساكنهم المحمولة المتمثلة في الخيام المصنوعة من شعر الماعز ووبر الإبل يسيرون جنبا إلى جنب مع قطعانهم المتكونة من الغنم والماعز والإبل باتجاه الشمال الحبوبي " شكري السباعي،2011، ص113

[2] تعني الصيافة مشاركة جميع أفراد العائلة في جمع المحاصيل الزراعية بالشمال مع الحصول على العشر (10/1) علما وأن هذا النوع من التنقلات يهم الفلاحين الفقراء وتكون دون اصطحاب للقطيع. حبيب عطية 1977، ص 234 الجزء الثاني، بتصرف (مصدر ورد باللغة الفرنسية)

[3] "تعني العشابة التنقل صحبة القطيع بحثا عن الأراضي الخصبة لتأمين المرعى للماشية" المصدر السابق ص 113 وتتم هذه الرحلات غالبا في فصل الربيع.

[4] العزابة: تعني العزابة انتقال العائلات مع مواشيهم في فترة الحصاد للحصول على مراعي لمواشيهم. (راضية عُمري، ص31)